العنصرية الصهيونية في فلسطين وكيفية مواجهتها

■ د.النعمي السائح العالم
قسم الاعلام - كلية الفنون والإعلام /جامعة طرابلس

المقدمة

للاستيطان الصهيوني أهمية بالغة في الفكر الصهيوني، وقد هدف الكيان الصهيوني من وراء هذا الاستيطان وضع حقائق على الأرض تفرض نفسها في أية مفاوضات مع أي طرف في الصراع العربي الإسرائيلي إضافة الى الدوافع الاقتصادية والمادية والأمنية؛ فكانت الدوافع التاريخية والدينية المزعومة هدفاً لإقامة المستوطنات. لقد تميزت ظاهرة الاستيطان الصهيوني في فلسطين عن غيرها من التجارب الاستيطانية القديمة منها والحديثة من خلال ارتباط هذه الظاهرة بالعنف والاستيلاء على أراضٍ مملوكة لأصحابها الشرعيين بالقوة، مع التخطيط المسبق لطرد هؤلاء السكان واستئصال حضارتهم والقضاء على وجودهم، فالاستعمار الاستيطاني الصهيوني قام على أسس استعمارية وعنصرية تخالف مبادئ القانون الدولي والعهود والمواثيق والاتفاقيات الدولية. عليه وتمشيا مع هذا النسق تقوم هذه الدراسة بتحليل أبعاد العنصرية الصهيونية في فلسطين وكيفية مواجهتها وذلك من خلال ثلاثة مباحث رئيسية، يحلل الأول ايدولوجية العنصرية الصهيونية، ويدرس الثاني علاقة الصهيونية باحتلال فلسطين، ويوضح الثالث كيفية مواجهة العنصرية الصهيونية .

وفيما يخص أهمية الدراسة، فالواقع هناك أسباب رئيسية دفعت الباحث إلى اختيار موضوع دراسته بحدوده المكانية ومن بينها ما يلي:

أولاً: يري الباحث أن هذا الموضوع من الموضوعات السياسية الهامة، التي يجب أن تفرد له دراسة علمية خاصة لمعالجته وتحليل جوانبه وأبعاده المختلفة السياسية، والاقتصادية، والثقافية، لا سيما وأنه يتعلق بالتأثير الصهيوني على العالـم العربي، الذي مازال محتاجاً إلى مزيد من الدراسات العلمية.

ثانياً: تتميز سياسة الحركة الصهيونية بأنها سياسة مراوغة ومبطنة ومتخفية وراء

دعاوى أيديولوجية بهدف استعمالها لتحقيق مآربها وتعزيز كيانها المغتصب في فلسطين؛ لذا فإن هذه الدراسة سعت إلى كشف وتعرية الادعاءات الصهيونية.

سعياً من الباحث لإنجاز بحثه بطريقة تحليلية فقد سعى لطرح مجموعة من التساؤلات الرئيسية، ومن بينها: كيف نشأت الحركة الصهيونية؟، وماهى أهدافها ودوافعها؟، وإذا كان الكثيرون لا يرون أن ثمة شرعية لإسرائيل في المنطقة العربية، فهل ثمة شك في استحالة السلم طالما أن اسرائيل تشكل النقيض المناقض للوجود العربي؟، الصراع العربي الإسرائيلي أوسع وأغنى من صراع على الحدود أو على كبح اتجاهات إمبراطورية إسرائيل ومجرد مسخ هذا الصراع الى هذا المستوى يعني التفاوض على جملة حقائق تاريخية لأمتنا، ولا يمكن أن يوجد شرعيا من يستطيع أن يفاوض على التاريخ الإجمالي للأمة؛ لذا مامدى مشروعية ادعاء إسرائيل بأرض فلسطين؟. استخدم الباحث في دراسته المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها الأولية ومراجعها الثانوية وتصنيفها وتبويبها وغربلتها وتحليلها وصولاً إلى إبراز الصور العلمية المتكاملة لموضوع الدراسة، بالاعتماد على جمع المادة موضوع الدراسة الحالية على الأسلوب المكتبي، وذلك للإلمام بجميع متطلبات الدراسة نظرياً حيث تم الاطلاع على الجانب المعرفي من الكتب والدراسات والبحوث والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة بشكل عام.

المبحث الأول: الصهيونية نشأتها وأهدافها:

تعود الصهيونية تسمية إلى زعم تاريخي أشاعه اليهود والصهاينة من غير اليهود مع أول القرن السادس عشر، هذا الزعم هو أن جبل صهيون وهو ربوة مطلة على القدس أقيم عليها الهيكل هو وما يجاوره من أرض فلسطين[1]، بالرغم من أن هذا الجبل نفسه قد أقام عليه البيوسيون أبناء عم الكنعانيين حصنهم، وكانت القدس عاصمة مملكتهم البيوسية قبل ظهور النبي موسي عليه السلام ومعه اليهود، بما لا يقل عن ألفي سنة قبل الميلاد، وإن استخدام اسم الصهيونية للمؤسسة السياسية مع النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعمل من أجل إقامة وطن قومي لليهود في أرض فلسطين وما حولها وهي محاولة تقوم على الزعم والتزوير والهدف منها ربط الفكرة السياسية بالمعتقد الديني من أجل أن يكون لها وقع على النفوس، وليكون فعلها في السلوك، وهذا ما كان فعلاً من أجل صنع رداء ديني يهودي مدعوم لمشروع صهيوني استعماري[2]. وإذا كان اليهود يبررون زعمهم من خلال ما أوردوه في سفر التكوين بأن الرب وعد إبراهيم وإسحاق ويعقوب بأن يمنحهم أو يورثهم أرض الكنعانيين، وكما يعتقد المسيحيون أن هذا الموقع هو المكان

1 . أحمد الجبير، العلاقات العربية الأفريقية، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، 1998، ص 54.

2 . برهان عليوان، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، شركة القمر للطباعة والنشر، 1998، ص81.

الذي شهد العشاء الأخير للمسيح وتلموذه[1] . وتأسيساً على ما تقدم نستنتج بأن الصهيونية ليست اليهودية التي هي رسالة دينية وإنما الصهيونية حركة سياسية تضم اليهود وغير اليهود سواء أكانوا أفراداً أم مؤسسات أو حركات ولكن ما يجمع أتباع الحركة الصهيونية هدف مشترك بينهم هــو جمع اليهود ولم شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين، لتأسيس دولة فيها تنفيذاً لحلم يهودي عنصري اتخذ من الفكرة الدينية ستاراً.

وعلي أية حال فإن هذه الفكرة الصهيونية هــي اعتقاد يهودي قديم يعود إلى ما قبل تيودور هيرتزل، وقبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا في الفترة من 29 إلى 31 أغسطس 1897م، ولكن الظروف السياسية والاقتصادية الدولية لم تسمح بالإعلان عن هذا الحلم وبرمجته سياسياً إلا في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، وبقيت هذه الفكرة الصهيونية مجرد مشروع نظري لم يحظ بأي قبول جدي لدى الدول الكبرى في بادىء الأمر، وكما وصفها المستشار الألماني أوتو يسارك بأنها فكرة حمقاء أثناء انعقاد مؤتمر برلين 1878م[2]، ولكـن الفكرة كانت تنضج يوماً بعد يوم لأسباب عديدة أهمها :-

1- السيطرة المالية اليهودية على الاقتصاد الأوربي وتأثيرهم الفعال على سياسة الدول الأوربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.
2 - ارتباط المصالح الاستعمارية الأوربية بالأهداف الصهيونية من أجل الحصول على موطئ قدم قوية في الشرق وتسهل في الوقت نفسه إيجاد حل للمشكلة اليهودية.
3 – وجدت طبقة من الأثرياء اليهود في إنشاء وطن يهودي في فلسطين وسيلة للتخلص من عبء فقراء اليهود، ولكي لا يؤثر على مواقفهم في أوروبا الغربية [3] .

وبالرغم من تلك الأسباب وغيرها التي تعرض لها مشروع تيودور هرتزل وخاصة الرابيون اليهود في ألمانيا فإن المشاريع الصهيونية كانت تخالف التعاليم الدينية اليهودية، ولكن هذه المعارضة لم تستمر حيث تلاشت شيئاً فشيئاً لأنها عارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية ودفعتهم إلى الهجرة إلى فلسطين، زاعمة لهم فيها حقوقا تاريخية وسياسية ودينية وبالتحديد في أواخر القرن التاسع عشر التقت الأهداف الصهيونية بأهداف التوسع الأوروبـي، ولقد التقت الإرادتـان الصهيونية والاستعمارية بناءً على دراسات واستطلاعات من أبرزها لجنة استعمارية بريطانية كلفت بذلك من قبل رئيس وزراء بريطانيا كامبل بايزمان، وعقدت هذه اللجنة باسمه وبعد أن فرغت هذه اللجنة من

1 . غازي محمد فريج، النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، دار النفائس، القاهرة، 1990، ص209.
2. المصدر نفسه، ص211.
3 . عبد العزيز محمد فرج، معركة هر مجدون ووعود الكتاب المقدس، التعبئة والاعلام، طرابلس، ليبيا، 1995، ص15.

أعمالها تمت الدعـوة لمؤتمر استعماري في لندن 1907م، لتحديد الدور البريطاني في عملية اقتسام التركة العثمانية[1].

وبالإضافة إلى ما ذكرناه سالفا هناك حاجة أوروبا عامة وبريطانيا خاصة لجسم غريب يزرعونه في قلـب الأمة العربية يشكل حاجزاً يمنع وحدتها ويستنزف طاقتها في صراعات وحروب، والصهيونية مشروع غربي لا خلاف عليه[2]. وإذا كان سياق البحث لا يفضل الإطالة في عـرض واقع أوروبا في القرون الوسطى فإنه لابد من التركيز في تلك الحقبة من حركة اضطهاد لليهود وعدم الاعتراف بهم ودفعهم إلى الرحيل إلى المجتمعات العربية والإسلامية ينشدون الأمن فيها، وفي ظل هذه الظروف والمعطيات وعشية الحرب العالمية الأولى ومع بدء مشروع السيطرة الأوروبية المباشرة على الوطن العربي وانتزاع اعتراف من دول النفوذ يومها يبيح للصهاينة ممارسة عدوانهم لا بل يريدون قراراً من دول النفوذ يدعم مشروعهم القاضى بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين

وتنفيذا لذلك صدر وعد بفلور في 1917.11.2م وجاء في شكل رسالة من وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور إلى رجل المال اليهودي روتشيلد تتكون من 67 كلمة تقضي بموافقة جلالة ملك بريطانيا على منح اليهود وطنا لهم في فلسطين[3].

الصهيونية ومشروعها التوسعي وسبل مواجهته:

يزعم اليهود أن إقامة دولة لهم في فلسطين ما هو إلا تنفيذ لوعود الرب، ودولتـهم هذه لا حدود لـها مرسومة أو معلومة، وهذا الأمر يظهر واضحاً جلياً للعيان من خلال طلب انتسابهم لهيئة الأمم المتحدة، فكل دولة في هذه الهيئة لها في ملف انتسابها خريطـة وحدود جغرافية إلا دولة إسرائيل فقد قبلت عضويتها دون أن تحدد حدودها الجغرافية، وهذا أمر يؤكد مدى الأطماع التوسعية للحركة الصهيونية.

ومن خلال نصوص العهد القديم تتبين لنا حقيقة نواياهم التوسعية، ففـي أحد النصوص "في ذلك اليوم بت الرب مع أبرام عهدا قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"[4].

من هذا النص نرى أن الدولة المنشودة من قبل الصهاينة بلا حدود تتسـع بمقدار ما تتحقق السيطرة وبمقدار ما يتمكنون من تحقيق التوسع العسكري إن كل مـن يقف على

1. غازي محمد فرج، مصدر سابق، ص512.
2. مسعود كريم وخليل ابراهيم، الحركات الهدامة دائرة المدينة، بنغازي، ليبيا، 1996، ص129.
3. أسعد السحمراني، من اليهودية الى الصهيونية – الفكر الديني اليهودي في خدمة المشروع الاقتصادي الصهيوني، القاهرة، 1993، ص189.
4. المصدر نفسه، ص195.

حقيقة النوايا الصهيونية يرى أن مشروعهم يتمثل في ذلك التمادي في التوسع بالاحتلال العسكري للأرض تحت ذرائع دينية وعقائدية وتاريخية مزعومة ثم تهجير سكان هذه الأرض واستبدالهم بمهاجرين يهود من كل أنحاء العالم تحت ستار العودة إلى أرض الميعاد.

ولا يخفى على أحد أهمية الربط بين المشروع السياسي والعامل الديني، فعندما يكون المشروع السياسي مبرراً دينياً فإنه ومن البديهي أن يصبح الحماس لتنفيذه شديداً لأن المنفذ يرى في عمله عبادة، وتنفيذاً لأمر ديني يؤجر عليه؛ ولهذا كان اليهود ولا يزالون يعطون لكل فعل يقدمون عليه مرتكزاً يزعمونه دينياً، وهذا أمر لا يفيد على الصعيد اليهودي فحسب بل على صعيد كافة الصهاينة قبل اليهود، إن نظريتهم في التوسع والاحتلال تقوم علي الاقتلاع للآخرين و إلغاء وجودهم لأن فكرهم الانعزالي العنصري لا يمكنهم من التعايش مع غيرهم[1].

إن الفكرة السياسية عند اليهود والتي باتت فكرة صهيونية فيما بعد تقوم على استخدام العنف لدرجة إبادة الآخرين، لأن الأمر لا يستتب لهم – وفق رأيهم – إلا إذا نجحوا في تكرار تجربة الأوروبيين مع الهنود الحمر في القارة الأمريكية.

وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية من أكبر الممولين لمشروع اليهود الاستيطاني منذ نشأته الأولى، فقد ساهم الكثير من الأمريكان في بناء المستوطنات الأولى في فلسطين المحتلة منذ القرن التاسع عشر، بل وأكثر من ذلك إلى حد الارتباط المصيري مصلحياً بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني.

لقد برزت المساهمات الأمريكية في السعي لتحقيق الحلم الصهيوني مبكراً، ومن ذلك رحلة قام بها ضابط بحار أمريكي هو (وليام لينش) في نهر الأردن والبحر الميت سنة 1847م، وكان يريد استطلاع واقع الحكم العثماني ومدى تماسك الوضع السياسي العربي في ظله، مما يعطي مؤشراً على إمكانية أو عدم إمكانية تنفيذ الحلم الصهيوني[2]. وفي أيامنا هذه تتبنى أمريكا رسمياً وشعبياً المشروع الصهيوني وتدعمه بكل ما يمكن.

المبحث الثاني: العنصرية الصهيونية واحتلال فلسطين العربية

من خلال دراستنا لتطور الحركة الصهيونية منذ مؤتمرها الأول في اغسطس 1897م، ومن الأفكار التي أطلقها مفكروها أمثال كول هاي، هرتزل، بن جوريون، جولدمان وغيرهم ومن الممارسات اليومية في الأراضي العربية المحتلة والمجاورة والمواقف في الأمم المتحدة

1. المصدر نفسه، ص205.

2. عبد العزيز محمد، معركة هر مجدون، مصدر سابق، ص83.

والمحافل الدولية نلاحظ أن إسرائيل تعتمد على مجموعة من الذرائع والحجج المتباينة التي تبني عليها سياستها الداخلية والخارجية وتعلن عن طريقها مواقفها من أجل خداع الشعوب، لتثبيت أقدامها في فلسطين المحتلة وجعل العالم يقتنع بشرعية وجودها وأحقيتها في الحياة ولو على أشلاء شعب آخر[1].

1 -**الذرائع والحجج التي تعتمد عليها الصهيونية في احتلال فلسطين:**

أ – **الحجج والذرائع الدينية:** وهي حجة العهد الذي قطعه "يهوه" مع الشعب اليهودي حين جعله الشعب المختار – النص الذي يعتمد عليه الصهاينة – وهو النص الذي يمنح كل أرض كنعان لإبراهيم عليه السلام" وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك... كل أرض كنعان"... وبالإضافة إلى ما سبق دخول عامل جديد وهو الصهيونية المسيحية ومنذ القرن التاسع عشر وبعد أن أصبح هناك اهتمام عالمي باليهود لم تعد الأرض المقدسة فكرة مثالية وجزء من التراث الروحي، ولكن أصبحت تشغل اهتماماً خاصاً بالنسبة لقضية الاستيطان الذي رافق التوسع الإمبريالي الغربي ليس بالحرص على اليهود وما يعانونه بل لأن توطين اليهود في فلسطين قد أصبح يلعب دوراً كبيراً في أمور السياسة الدولية، حيث يهدفون لخلق جماعة تتميز عما حولها باللغة والثقافة وأسلوب الحياة ويقومون بتجارب عملية الاستيطان الزراعي الحديث حيث يعيد المعجزة اليهودية على حد زعمهم[2].

وكما وضح تيودور هرتزل في خطاب الافتتاح لمؤتمر بازل في سويسرا عام 1897م، حيث قال : إن حجر الأساس للبيت الذي سيأوي الأمة اليهودية يجب أن يكون كالآتي :

- تبني فكرة استعمار يهودي منظم في فلسطين
- الحصول على حق قانوني معترف به دولياً بشرعية استعمار اليهود لفلسطين.
- تشكيل منظمة دائمة تعمل على توحيد جمع اليهود للعمل في سبيل الصهيونية[3].

وقد ظل هذا النص هو الأساس الحقيقي للسياسة الصهيونية خلال الستين عاماً اللاحقة لصدوره[4].

ب – **الحجة الحضارية:** – وهي الحجة التي يتمسك بها الغزاة دائماً والتي كانت

1 . مسعود كريم، وخليل ابراهيم، الحركات الهدامة، مصدر سابق، ص175.

2 . مسعود طاهر، مجابهة الغزو الثقافي الصهيوني للمشرق العربي، دراسة في الثقافة والمقارنة، المجلس القومي للثقافة العربية، ط، 1989، ص180.

3 . المصدر نفسه، ص205.

4. المصدر نفسه، ص205.

إحدي الأسباب الرئيسية لقيام الحرب في العالم منذ غزوات الفرس والإسكندر وحتى الحروب الصليبية مع أن الصليبيين الغزاة لم يكونوا على مستوى رقي شعوب المنطقة، وموجة المستعمرين الجدد والهجمة الصهيونية الأخيرة، – ففي النظرية الصهيونية» سنكون موقعاً أساسياً للحضارة ضد البربرية»–، ولقد أكد ذلك تيودور هرتزل نبي الصهيونية في العصر الحديث عندما قال لإمبراطور ألمانيا غليوم الثاني مشجعاً إياه على تبني مساعدة اليهود لاغتصاب الأرض العربية في فلسطين، والتي ستكون موطئ قدم للحضارة الجرمانية في الشرق[1].

جـ – الحجج والذرائع الاقتصادية : في القرن التاسع عشر عصر تبلورت فيه السيطرة الاستعمارية (تحولت اليهودية الثقافية الاقتصادية) إلى يهودية سياسية التي تحولت بدورها في أواخر القرن التاسع عشر من أيدولوجية سياسية إلى تكوين الدولة، وتحولت العنصرية الصهيونية السياسية من فكرة إلى حركة. وحسب الاستراتيجية الصهيونية العليا منذ ذلك الوقت فيما رفض اليهود الاندماج في المجتمعات الأصلية التي يعيشون فيها وتجدرت فكرة غزو مجتمع أجنبي لإنشاء الوطن العنصري اليهودي، من هنا كانت الاستراتيجية انعكاساً وتمرداً في نفس الوقت، حيث كانت انعكاساً للواقع الاقتصادي الأوربي حيث سيادة الاقتصاد الرأسمالي مما أدى إلى توسيع الاستثمار الاستعماري في بلدان الشرق لاستغلال العمل الرخيص والأرض، وحيث كان رأس المال اليهودي مندمجاً ضمن رأس المال الأوربي العام في حركة السيطرة الإمبريالية الاستيطانية العنصرية على قارات العالم.

2 – تنفيذ الحجج والذرائع الصهيونية:

إن الحجج والذرائع الصهيونية تستند إلى التعمية والتزييف للتاريخ، فالبلاد التي يسميها الكتاب المقدس (أرض كنعان) والتي سميت بفلسطين منذ أيام الرومان والتي تقع على حافة الهلال الخصيب الذي يمتد من الفرات إلى البحر المتوسط ونهر النيل، هي موقع تاريخي عبرته وامتزجت فيه كثير من الشعوب وليس كما ادعت الصهيونية زوراً، ومن هذا المفهوم الواقعي نستطيع أن نخلص إلى:

1 – حين جاءت قبائل إبراهيم عليه السلام في القرن الثاني عشر قبل الميلاد من أرض أور فيما بين النهرين لتستقر في أرض كنعان فإنها لم تأت إلى صحراء مهجورة ولم تكن أول من يقطن هذه الأرض فقد وصل إليها الآشوريون ثم الاراميون وبعدهم بقليل نزل الفلسطينيون والعماليق في المنطقة الساحلية ونحن نعرف أن الأموريين

1 .خليل ابراهيم حسونة، العنصرية الصهيونية وكيفية مواجهتها، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، ليبيا، 1981، ص75.

والاراميين والعماليق من القبائل العربية القادمة من جزيرة العرب.

2 – وعود الكتاب المقدس لم تكن لليهود فقط، وإذا كان الاعتقاد السائد لدي اليهود هو أن الأرض أعطيت لهم وحدهم فهذا افتراء وخطأ لأنه ليس صحيحاً، وهو ليس ما جاء بالكتاب المقدس إذا كنا سنعتمد عليه كدليل لدحض افتراءاتهم ودرء أكاذيبهم فقول الكتاب المقدس – لنسلك أي لذريتك أعطي هذه الأرض – تشمل بكل تأكيد العرب لأنهم ذرية إسماعيل عليه السلام وإسماعيل ابن ابراهيم والاثار العربية توضح أن إسماعيل أب لعدد كبير من القبائل العربية الشمالية ولا يستطيع أحد أن ينفي ذلك[1].

3 – أن إبراهيم ليس عبرياً، وأنه في الحقيقة هو وزوجاته من الجنس العربي الذي يسميه المستشرقون ومن تبعهم من الكتاب العرب خطأ «الجنس السامي»، سواء أكان كلدانياً أم أمورياً أم أرامياً لأنهم كلهم عرب وبدون أدنى شك.

إن تسخير الدين للرغبات الصهيونية وعدم الإيمان الحقيقي، والنفسية الصهيونية المريضة التي تميل إلى الشك والحقد تجعلهم يشككون في كل الناس وخاصة العرب وليس أدل على هذه الشكوك مما ورد في كتبهم المقدسة وأقوال وتفسيرات حاخاماتهم بأن إبراهيم عليه السلام كان يتاجر بجسد زوجته (سارة) وهدفهم تلطيخ شرف الأنبياء وكذلك وصفهم لداوود عليه السلام بالجنون والعربدة والزنا وحبه لسفك الدماء، وكذلك رجموا مريم العذراء بالفساد والزنا وقتلهم الأنبياء وتآمرهم على قتل المسيح عليه السلام وكرههم للعرب.

إن فكرة التوحيد عندهم بل الألوهية ظلت مضطربة في عقولهم ومجامعهم وصنعوا منها عجلاً من الذهب لعبادته في الفترة القصيرة التي تركهم موسى فيها، واستمروا في ذلك حتى اتخاذهم (يهوه) إله اليهود القومي الأوحد والذي جعلوا له صفات بشرية. وكما قال ديوارنت (كان إله اليهود إلهاً للبر ثم تحول إلى إله للحرب يدعو للفتح من أجل شعبه، وكما أنه يغضب ويتألم ويخاصم بل ينزل إلى الأرض)[2]. أما بالنسبة للدعاوى الحضارية والتي يتدرع بها اليهود فهي غير صحيحة على الإطلاق ولو أنهم استطاعوا أن يقنعوا بها بعض الكتاب الأوروبيين ولكنهم اكتشفوا الحقيقة بعد زيارتهم لمعسكرات اللاجئين في قطاع غزة عام 1967م، ونسوق هنا بعض الحقائق التي تفرض نفسها :-

1 – إن العدو الصهيوني دمر الكثير من المدن والآثار ذات الطابع الكنعاني والإسلامي والعربي الحديث وما حرق المسجد الأقصى والمحاولات العديدة لحرقه إلا دليل على حقد اليهود على الحضارة الإنسانية التي يدعون أنهم حماتها في المنطقة[3].

1 . يوميات مناجيم بيجن، ترجمة وتقديم: معين أحمد محمود، دار المسيرة، بيروت، 1977، ص30-40.

2 .خليل ابراهيم، العنصرية الصهيونية، مصدر سابق، ص110.

3 . خليل ابراهيم، المصدر السابق، ص120.

2 – فلسطين مركـز لقاء حضاري عالمي منذ العصور القديمة والوسطي وحـتى الحديثة وهي من أوائل المناطق التي استوطنها الجنس البشري.

3 – العنصرية الصهيونية وطموحاتها لم تشكل حركياً ضد العنصرية الأوروبية المولدة لها وإنما هي بوصفها الطرف الأضعف والضحية فقد سعت إلى التشبه بمظهرها فصارت عنصرية سلطوية على نمطه.

4 – رأت الصهيونية أن البديل لعدم أولويتها في أوروبا هو الحل الاستعماري الاستيطاني على وجه التحديد رافضة الاندماج وداعية لتهجير اليهود إلى فلسطين العربية[1].

المبحث الثالث: كيفية مواجهة العنصرية الصهيونية:

يصعب دون شك في عالم كعالمنا الراهن الاعتماد على المقاييس والمعايير المتعلقة بمفاهيم الزمان والمكان والتطور للتاريخ الذي كان سائداً ومن هنا أصبح لابد في مثل هذا العالم من رؤية جدية وفهم أعمق لطبيعة التطور التاريخي ومتابعة مسيرته، هذا مـع عدم استبعاد العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية من أجل القدرة على تركيب المعطيات الجديدة في عالم اليوم المعقد ونظرة عميقة من الداخل إلى المشكلات والقضايا المتـباينة في هذا العالم والنظر إلى المستقبل بعين الإنسانية بكاملها وبدون تشاؤم، للإيجابيات للتطور النضالي وفي استعداد للكفاح والإدراك الواعي للدور القومي، ومن هنا نتبين عدة طـرق لمواجهة العنصرية الصهيونية سنذكرها فيما يلي:.

1 – مواجهة العنصرية الصهيونية في المجالات الأيديولوجية والقومية والدولية:

أ – مواجهة العنصرية الصهيونية في المجالات الأيديولوجية:

1 – رسم أيديولوجيا عربية واعية للأحداث والظروف تعتمد التكتـيك والاستراتيجية القومية والأيديولوجية هي نسق من الأفكار يقوم في ارتكازه على نسق محدد من القيم ، بتحديد اتجاهات الناس وسلوكهم إزاء الأغراض المبتغاة المتعلقة بتطوير المجتمع.

إن الأيديولوجية الصهيونية المهلكة للعرب الفلسطينيين والمخربة للعالم لم تواجه حتى الآن بأيديولوجيا عربية موحدة رادعة وواعية، وسبب ذلك غياب الوحدة العربـية الشاملة، وبعد الجماهير العربية العريضة عن السلطة وغياب الديمقراطية الحقة ومزاجية الحكام الإقليميين وارتباطهم بما يعارض النهج القومي التقدمي هذا النهج القـادر على أن يقيد الأيديولوجيا الصهيونية ويحيطها[2].

2 – ربط الوجود الإسرائيلي بالوجود العنصري بصورة عامة والإمبريالي الأمريكي

1 . مسعود الطاهر، مجابهة الغزو الثقافي، مصدر سابق، ص96.

2 . مجلة شئون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير،عدد،73، بيروت،1997،ص30.

بصورة خاصة، فوجود إسرائيل هو إحدى ظواهر التمييز العنصري وفكرة الصهيونية عند اليهود متأصلة إلى الدرجة التي تبدو فيها كما لو أنها شرعية، لتبرر مشروعية أدهى منها وأمر، وهي الاحتلال وغزو كامل فلسطين وتشكيل دولة صهيونية أي اغتصاب أرض وتشـريد شعب تحت ذرائع تاريخية واهية هي ضد منطق التاريخ. ويجدر بنا أن نوضح أن الوجود الصهيوني مرتبط بالوجود الإمبريالي الأمريكي المصلحي في غياب الدولة العربية الواحدة والقوية والتي تستطيع القبض بقوة على مصالح أمريكا والغرب، ومن هنا وفي غياب الوحدة مؤقتاً لا نضمن نهاية إسرائيل عن طريق دول عربية ممزقة لا تجمعها وحدة الهدف والإرادة[1].

3 – مقارعة الاستراتيجية الصهيونية عن طريق فهم نفسية العدو، فالنفسية الصهيونية تعتمد على حق الا هي في المنطقة تدعيه، ولذا فمن هذا المنطلق تتصرف وتعتمد على المصلـحة المتبادلة في المنطقة الإمبريالية الأمريكية، لتضمن لخططها النجاح والدعم. فتطور الكيان الصهيوني أخذ يعتمد بشكل متصاعد على الإمبريالية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، إن التركيبة النفسية الصهيونية أكدها تاريخها الطويل فهي لا تؤمن بالسلام إلا بمفهومها الذي يقول بطرد العرب وامتلاك الأرض وقذف العرب وكـرامتهم وحضارتهم إلى الصحراء، وأكده أيضاً تاريخها الطويل المدفون[2]، في عقـائد عنصرية ومشاعر عاطفية حاخامية، فمبادرات السلام من الآخرين تجاه العدو يعتبرها العدو دليلاً على أنه الإله يسخر لهم الآخرين[3].من هذا المنطلق نرى أن إسرائيل تريد أن تكون الدولة العظمى في الشرق الأوسط متخذة لنفسها دوراً رائداً وحضارياً تستغل المنطقة اقتصادياً وتكون لها الصدارة تكنولوجياً ومرشداً سياسياً للمنطقة.

ب – **مواجهة العنصرية الصهيونية في المجال القومي:** هذا المجال هو الأكثر فعالية في تحقيق النصر «فالشعب الذي يهزمه غيره لا يستحق أن يعيش» ولذلك فالضرورة تتطلب[4]:

1 – الوحدة العربية.

2 – رفض التفاهم مع العدو جملة وتفصيلاً بل رفض كل ما يؤدي إلى ذلك ومحاربته. كل ذلك على أسـاس الاعتماد على النفس وتجميع الطاقات العربية الخلاقة والمبدعة على أوسع نطاق وبشكل مضطرد على أساس أنها الأداة الحتمية والسلاح الرئيسي لتحرير الأرض والإنسان وتحقيق النهضة الحضارية للأمة العربية في اتجاه قومي تقدمي.

جـ – **مواجهة العنصرية الصهيونية في المجال الدولي**، وذلك من خلال الآتي:

---

1 . نمر صالح أبو صالح، نحن وأمريكا، دار ابن الرشيد للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص83.

2 . مجلة شؤون فلسطينية، مصدر سابق، ص45.

3 . محمد علولة، موضوعية الإسلام في مواجهة الصهيونية، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا،1990، ص60.

4 . محمد علولة، مصدر سابق، ص75.

1 – كشف حقيقة إسرائيل التي تعتمد على الخداع لليهود والعالم وذلك بإفسادها للقيم والضمائر والأخلاق ليصبح اليهود سادة الأرض ويقول اليهود : (القانون الذي سنضعه لن يسمح إلا بما نرغب فيه)[1] .

2 – إبراز أن الجرح التاريخي في فلسطين أخذ شكل مؤامرة تمس العرب واليهود وتمتد أخطارها لتشمل دولاً وقارات، وهذه المؤامرة التاريخية لا يمكن أن تواجه مواجهة صحيحة إلا بعمل تاريخي يتجاوزها وإذا كانت المؤامرة من صنع التحالف الإمبريالي الصهيوني – العنصري والرجعي[2] .

3– التوضيح للعالم أن الوحدة العربية وتحرر العرب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ينعكس مباشرة على المجتمع الدولي ويهدد مصالح الإمبريالية وإبراز أن المشروع العنصري الصهيوني يخدم النقيض لحركة التحرر العالمي وإن حركة الوحدة العربية حركة تاريخية تصب في حركة النضال العالمي وهي ليست موجهة ضد أي شعب من شعوب العالم[3] .

التصورات الواجب القيام بها:

1 – من الواجب على القوى الثورة والتقدمية في العالم أن تتلاحم تلاحماً كاملاً مع الانتفاضة الفلسطينية لأنها تقاوم أبشع أنواع العنصريات في العالم ألا وهي الفاشية الصهيونية.

2 – إتاحة الفرصة للإعلام العربي والإعلام الفلسطيني وإعطائه حرية الحركة تماماً ليكشف للمواطن الأوربي بصفة خاصة وللعالم بصفة عامة مدي خطورة الصهيونية ليس علي الفلسطينيين والعرب بل على العالم أيضاً بأسره.

3 – العمل على كشف المخالفات الصارخة والتي ارتبطت سياسة العنصرية الصهيونية منذ قيامها وإلقائها بقرارات الأمم المتحدة عرض الحائط مما يعرض بنية الهيئة الدولية للخلل الواضح.

4 – الإيمان الكامل بأنه لا سلام دون عودة الفلسطينيين إلى أراضيهم المغتصبة والتي اقتلعوا منها بالحديد والنار.

5 – لا تراجع عن المطالب القومية في تحرير كامل الأراضي العربية مهما كانت الظروف المرحلية التي تمر بها القضية.

6 – التأكيد على أن الانتفاضة الشعبية في فلسطين هي الطريق الوحيد لتحرير فلسطين.

7 – إن الثورة الفلسطينية هي خط الدفاع الأول عن آدمية الإنسان ضد أبشع أنواع العنصرية في التاريخ ألا وهي العنصرية الصهيونية الفوقية الأمر الذي ترى فيه أن مسؤولية الدفاع عن الثورة الفلسطينية مسؤولية وطنية وقومية وإنسانية أممية.

---

1. خليل ابراهيم، العنصرية الصهيونية، مصدر سابق، ص126.
2. غازي محمد، النشاط السري اليهودي، مصدر سابق ص240.
3. عبد العزيز محمد، معركة هر مجدون، مصدر سابق، ص46 .

8 – إن مواجهة التحديات يتطلب تعبئة الجماهير العربية وحشد الطاقات بكاملها مما يعني أن الاقتصاد العربي سيصبح اقتصاد حرب.
9 – استخدام سلاح البترول استخداماً صحيحاً ضد أمريكا كسلاح استراتيجي فعـال والعمل الدؤوب للاستعداد على تحمل النتائج المترتبة على ذلك.
10 – دعم الانتفاضة في فلسطين والحركة الوطنية اللبنانية والجبهات لمواجهة الأولى مادياً ومعنوياً وعسكرياً.
11 – فتح الحدود للعمل الفدائي والعسكري لضرب الصهيونية في العمق حيـث الأثر الأكثر خطورة على كيانه.
12 – التوضيح لجميع شعوب الأمة العربية أن القضية تستوجب الحسم وعدم التخاذل والخيانة والاعتراف بهذا العدو العنصري الغاشم واعتبار من يقوم بهذا العمل الاستسلامي كالعدو الصهيوني وأن المصلحة الوطنية تطغى على الخجل والمجاملات.
13 – حسم الموقف مع الدول المتواطئة وتشجيع شعوب تلك الدول على تصحيح مسار حكوماتها.
14 – كشف حقيقة ادعاءات أمريكا والإمبريالية الغربية للسلام المزيف وحمايتها للعرب والإسلام والأماكن المقدسة.
15 – تقوية العلاقات الحميمة بين الحركات الثورية والأحزاب التقدمية في الوطن العـربي وتوضيح دور الوحدة العربية كرادع استراتيجي ومطلب شعبي ملح يستطيع الوقوف بجدارة ضد كل الطامعين.

الخاتمة:

إن من يتتبع الصفحات السابقة يستطيع ملاحظة أننا وضحنا جملة حقائق تبرز بصورة واضحة في :

1 – أن نشأة العنصرية الصهيونية اعتمدت على القوى الكبرى والتي بدونها لا تسـتطيع الحياة بالمطلق وأهم هذه القوى الإمبريالية الأمريكية المعادية لطمـوحات شعـوب المنطقة وعلي رأسها الشعب العربي الفلسطيني.
2 – إن الحركة الصهيونية أخطر حركة عنصرية حاقدة على الإنسانية كلها لا يهمـها أن تدمر العالم كله من أجل الحصول على مصالحها حتى ولو أدى ذلك إلى تدمير العالم.
3 – أن قيام العنصرية الصهيونية ليس له سند تاريخي أو حقوقي والدافع إليه يرتكز على مصلحة الاحتكارات العالمية المتحالفة ضد الشعوب من جانب والضعف العربي من الجانب الآخر.
4 – إن الصهيونية عقيدة رجعية عنصرية حققت وجودها العنصري على حساب شعبـنا العربي الفلسطيني بتعـاونها مع الإمبريالية العالمـية.
5 – إن المحاربة الصهيونية العنصرية تتطلب محاربة الإمبريالية بصورة عـامة والإمبريالية الأمريكية بصورة خاصة فالتلاحم العضوي بين الصهيونية والإمبريالية

يتطلب صلابة ثورية وحسماً داعياً لجميع الأمور فمن غير المعقول معاداة إسرائيل والصداقة مع أمريكا لأنهمـا كل واحد لا يتجزأ.

6 – لا عودة للفلسطينيين إلا بالقوة المسلحة التي تعتمد حرب الانتفاضة الشعبية بمفهومها.

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد الجبير، العلاقات العربية الأفريقية، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، 1998.
2. برهان عليوان، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، شركة القمر للطباعة والنشر، 1998.
3. غازي محمد فريج، النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، دار النفائس، القاهرة، 1990.
4. عبد العزيز محمد فرج، معركة هر مجدون ووعود الكتاب المقدس، التعبئة والاعلام، ليبيا،طرابلس، 1995.
5. مسعود كريم وخليل ابراهيم، الحركات الهدامة دائرة المدينة، بنغازي، طرابلس، 1996.
6. أسعد السحمراني، من اليهودية الي الصهيونية – الفكر الديني اليهودي في خدمة المشروع الاقتصادي الصهيوني، القاهرة، 1993.
7. مسعود طاهر، مجابهة الغزو الثقافي الصهيوني للمشرق العربي، دراسة في الثقافة والمقارنة، المجلس القومي للثقافة العربية، ط، 1989.
8. خليل ابراهيم حسونة، العنصرية الصهيونية وكيفية مواجهتها، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، ليبيا، 1981.
9. يوميات مناحيم بيجن، ترجمة وتقديم معين أحمد محمود، دار المسيرة، بيروت،ط، 1977.
10. مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث في منظمة التحرير،عدو،73، بيروت،1997.
11. نمر صالح أبوصالح، نحن وأمريكا، دار ابن الرشيد للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
12. محمد علولة، موضوعية الإسلام في مواجهة الصهيونية، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا،1990.